# قضايا الفكر الإنساني عند الأمير عبد القادر

**د. قاسي فريدة**

**جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية**

**الملخص**

العالم المفكر هو الذي لا يكتفي بتخصصه بل بضرورة اطلاعه الواسع على علوم ومعارف الذين سبقوه أولا، واطلاعه ثانيا على علوم عصره والأفكار والقيم المتداولة فيه، ويكون صاحب قدرة على التحليل والاستنباط والتأثير على الآخر. فهل يمكن اعتبار الأمير بحكم ثقافته وصفاته مفكرا؟ إذا كان كذلك فما هي مصادر تكوينه الفكري؟ وما هي أهم القضايا التي عالجها؟ ودعائم مقومات فلسفته الحضارية؟

**الكلمات المفتاحية:** العالم، المفكر، شخصية الأمير عبد القادر، الأفكار والقيم، القضايا الفكرية، الفلسفة الحضارية.

**Summary**

The thinking scientist is the one who is not satisfied with his specialization, but rather with the necessity of familiarity first with the sciences and knowledge of those who came before him, and secondly with the sciences of his time and his current ideas and values, and who possesses the ability to analyze, conclude, and influence others.

Can the prince be considered as a thinker and philosopher by virtue of his culture and qualities? If so, what are the sources of his intellectual formation? What are the most important issues he addressed? And the pillars - components of his civilizational philosophy?

**Key words:** The scientist, the thinker, the personality of Prince Abdul Qadir, ideas and values, intellectual issues, civilizational philosophy.

**تمهيد**

للأمير وجهان وجه معروف حول نضاله وهو الإنتاج الفكري الذي أبدعه وخلد به، والذي تناول جوانب عديدة في المعرفة الإنسانية. من هنا جاءت الأهمية لتحديد أ بعاد شخصية الأمير من حيث المجال الجغرافي والبعد الزمني والوضع الحضاري للتعرف أكثر على توجهات العصر الذي عاش فيه والمجتمعات التي احتك بها والظروف التي تأثر بها لكون الفعل الإنساني –الصادر عن القادة والزعماء – ما هو إلا استجابة لحاجة العصر ومتطلبات المجتمع الذي عاشوا فيه.[1]

والأمير عبد القادر من الشخصيات التي كان لها تأثير على معاصريها وذلك بما قامت به من أعمال وما سجلته من مواقف فتحولت حياة الأمير إلى موضوع عام فرض أن نتناوله من خلال حلقات أوسع وأطر أشمل تركز خاصة على المجال الذي تفاعل معه الأمير وتأثر به وأثر فيه.

## 1. شخصية الأمير عبد القادر وتأثير المحيط الاجتماعي

تنتمي أسرة الأمير إلى أصل مراكشي وكان لأسلافها الأدارسة ملك عظيم في المغرب الأقصى، وأول من نزح عن مراكش الجد عبد القوي الأول الذي نزل بقلعة بني حماد قرب (سطيف) من أعمال قسنطينة، وفي عهد السيد مصطفى بن محمد بن مختار – الجد الأكبر لعبد القادر – نصبت الأسرة أعلامها في إيالة وهران وبسطت نفوذها على القبائل النازلة في تلك النواحي.[2]

وقد لعبت الأسرة دورا أساسيا في تكوين شخصية الأمير، فالشيخ مصطفى بن المختار الغريسي (جد الأمير) من أكابر العلماء تفقه في غريس و أخذ الطريقة القادرية[3] على يد الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي الذي حج و زار بغداد و لبس (الخرقة) هناك على مقدم الطريقة عبد القادر الجيلاني، و عندما عاد أسس قرية "القيطنة" و زاويتها بوادي الحمام (1206هـ-1792م)، و هو يجمع بين الشريعة و الحقيقة و متبحر في العلوم العربية و الفقهية و في علم التصوف و الحكمة [4]أما والد الأمير الشيخ محي الدين بن مصطفى الحسني [5]فكان من حماة الشريعة و من كبار أوليائها متبحرا في العلم، فهو شيخ الطريقة القادرية و الفقيه المرابط

---

[1]ناصر الدين سعيد وني، عالم القرن التاسع عشر، عصر الأمير عبد القادر، (ط.2)، البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، ص-9-

[2]محمد بن عبدالقادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبدالقادر و أخبار الجزائر،2ج، المطبعة التجارية، الإسكندرية، 1903،ج2، ص299.

[3]مؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني (470-562ه)(1078-1167م) ولد في جيلان بجبل كركوك شمال العراق و استوطن بغداد، و اعتكف على الدراسة و التعلم و تضلع في الفقه الحنبلي و ألف طريقته الصوفية " القادرية" التي انتشرت بسرعة في بلدان المغرب العربي و غرب إفريقيا . للمزيد ينظر :يحيى بو عزيز، "الطريقة القادرية و الأمير عبد القادر " ضمن أعمال الملتقى الدولي حول "الأمير عبدالقادر و القيم الإنسانية " عدد خاص، 2001، ص22.

[4]توفي خلال عودته من حجته الرابعة في برقة الليبية عام (1212ه/1797) و دفن بعين غزالة قرب درنة . ينظر، محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر، ج2،ص 302.

[5]محي الدين بن مصطفى الجزائري (1190ه-1249ه)(1776-1833م) نشأ في حجر والده و تثقف عليه ثم رحل إلى مستغانم فأخذ عن علمائها و حضر الكتب المطولة على فضلائها ، عكف في آخر حياته على بث علوم الشريعة و الحقيقة و ألف في التصوف كتابا سماه " إرشاد المريدين". ينظر : محمد بن عبد القادر ، تحفة الزائر، ج2، ص303.

الذي اتخذ زاوية القيطنة لطلبة العلم و القرآن، مما جعل له مكانة سامية لدى أعيان المنطقة و هذا لشرف نسبه و حسن أخلاقه و رجاحة عقله و صلاحه و سماحة نفسه و شدة تدينه و زهده و علو كعبه في علوم الدين و اللغة العربية و التصوف.[1]

ومنه فقد ورث الأمير عبد القادر من الناحية البيولوجية والعقلية قوة الجسم وصحة البدن وفطانة الذهن ورجاحة العقل ووفرة الذكاء ونبالة الأخلاق عن أسرته.

وقد أجمع الذين كتبوا عن سيرة حياته أنه كان شخصا غير عادي من ناحية الملكات العقلية والمواهب الفكرية المتنوعة التي وهبها له الله سبحانه وتعالى، فقد كان يقرأ ويكتب وهو في سن الخامسة من عمره، وأصبح طالبا في سن الثانية عشرة فأصبح في هذا العمر المبكر حافظا للقرآن الكريم ومتمكنا من الحديث وأصول الشريعة الإسلامية.[2]

وقد بذل والده جهده في تعليم الأمير وتثقيفه أحسن ثقافة كانت متوفرة في عصره، وتوفير جميع وسائل التعليم والتربية له، فتمكن عبد القادر في فترة قصيرة من اكتساب حظ عظيم من العلم في الفقه والأصول وعلوم اللغة والأدب والحديث كما حفظ قدرا كبيرا من صحيح البخاري عن ظهر قلب.

و إلى جانب تضلعه في العلوم النقلية فقد قرأ أيضا آثار أفلاطون و فيثاغورس و أرسطو في الفلسفة و المنطق و درس كتابات مشاهير المؤلفين من عهود الخلافة العربية في التاريخ، إلى جانب الفلك و الجغرافيا و حتى "علم العقاقير" – الطب- فتجمعت لديه مكتبة ضخمة في العلوم المذكورة.[3]

وبالنسبة لوصف الأمير عبد القادر من طرف المؤرخين والكتاب فقد قال عنه بطرس البستاني:" فضلا عن كونه من أعاظم رجال السيف والسياسة فهو أيضا في عداد الكتبة والعلماء وله رسائل في التأليف والتصوف" [4] وأشار الحفناوي في موسوعته إلى أن الأمير قد جمع في تصرفاته و معاملاته بين أخلاق العالم و تصرفات البطل و سلوك زعيم الجماعة و شيخ الطريقة عن سجية و في تواضع و بدون تكلف، فالأمير كان متمسكا بتقاليد أسرته ودودا لأهله معروفا بطاعته لوالديه[5]

كما وصفه الكاتب (لويس فويو) بأنه تولى الصدارة بني أهله في جميع الأمر وهو أفضل الفرسان و أفقه العلماء و أذكى السياسيين و أفصح الخطباء و أتقى المسلمين و أقدر واحد على تحفيز الإيمان[6].و عن زهد الأمير عبد القادر و بساطته يقول (موريتس فاغنر)

---

[1]تركي رابح عمامرة، "الأمير عبد القادر الجزائري، البيئة الثقافية و التربوية التي نشأ فيها و أثرها في تكوين شخصيته "، مجلة عالم الفكر، مج16، ع1، ص232.

[2]تركي رابح عمامرة، "الأمير عبد القادر الجزائري، البيئة الثقافية و التربوية التي نشأ فيها و أثرها في تكوين شخصيته "، مجلة عالم الفكر، مج16، ع1، ص232.

[3]المقال نفسه، ص233.

[4]بطرس البستاني، الأمير عبد القادر الجزائري، دائرة المعارف،مج 11، ص620.

[5]أبو القاسم الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف،(ط.2)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982م، ج2، ص317.

[6] L.veuillot les français en Algerie, souvenir d'un voyage fait en 1841, 2éme edition, 1847

نقلا عن ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص248 .

:"كانت حياة الأمير بسيطة كثيابه، فهو يسكن منذ أن هدم قصره بمعسكر بخيمة عادية لا يتركها إلى قصره الجديد "تاقدمت" إلا لمدة قصيرة، أما طعامه فهو زهيد و هو مع ذلك لا يخشى الجوع و لا التعب [1] و وصفه قدور بن رويلة :" أن الحاج عبد القادر زهيد في دنياه لا يتعلق بحطامها طعامه عادي و بسيط و لباسه كذلك يقوم الليل مسبحا مصليا، طيب مع الجميع لا يريد أن يتكبر على عباد الله، إنه نبيل و أمين يحكم بالعدل و القسطاس".[2]

## 2. مصادر فكر الأمير عبد القادر

من أهم مصادر فكر الأمير الأساسية القرآن الكريم والحديث النبوي وما ورد فيهما أصل مواقفه ونبع فكره وما عدا ذلك يقبل المخالفة والنقد والتقصي شكلا وموضوعا فهو يرى أن الكل قادر على الفهم والنظر والتعبير أن ينظر في القرآن ويفهم ويعبر دون مصدر مادام يستند على قدر معقول من الاستدلال، وهو يعتقد أن في القرآن أصول العلوم التي بها صلاح الدنيا والآخرة.[3] أما بالنسبة للمصدر الثاني حيث يلمس بلاغة الحديث لأن النبي صلى الله عليه وسلم أعطي جوا مع الكلم وينابيع العلم.

إضافة إلى القرآن الكريم و السنة النبوية كتب الأوائل التي كان يحرص كثيرا عليها و أصر أن تجلب إليه وهو في أسره :"لقد وصلتني كتبي التي كانت موجودة في جامع غزوات غير أني لازلت بحاجة إلى واحد و عشرين منها هي الأثمن و الأعز على قلبي، أرجو منكم البحث عنها".[4]و من الكتب التي نهض لتدريسها و خصها بإعجابه و زادت في علمه و فكره "الصغرى"-أم البراهين و العقائد- المعروفة ب"السنوسية الصغرى" و هي مختصر محتو على جميع عقائد التوحيد من تصنيف الإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي[5](832-895هـ)(1428-1490م)إضافة إلى كتاب "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" للإمام أبي الفضل عياض بن موسى المالكي (476هـ-544هـ)(1083-1149م) و هو كتاب في السيرة النبوية، أما "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي فهو المرجع العملي و النظري لجوانب عديدة كانت بحاجة إلى من يجلوها على هذا النسق الجديد، و يعتبر الأمير "الملل و النحل" للشهرستاني أول تاريخ للفكر العالمي بالمعنى الصحيح و كذا كتابه "نهاية الإقدام في أعلى مستوى لعلم الكلام" الذي وضح المشكلات و عدد الآراء و خرج بالرأي الصحيح، و في نظر الأمير فإنه لم يؤلف مثله متكلم .[6]

---

[1]أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1975، ص55.
[2]محمد الطاهر عزوي، "الحياة الروحية للأمير عبد القادر"، مسالك، ع3، 1998م، ص90.
[3]شعبان عبد العزيز خليفة، "الأمير عبد القادر و حواره مع علماء المسلمين"، ضمن أعمال الملتقى الدولي حول "الأمير عبدالقادر و القيم الإنسانية " عدد خاص، 2001، ص179.
[4]مصطفى خياطي : الأمير عبد القادر سجين فرنسا، منشورات (ANEP)، ص136.
[5]من كبار علماء تلمسان و زهادها في التفسير و الحديث و علم التوحيد .
ينظر : خير الدين الزركلي، الأعلام، (ط.15)، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ج3، ص142.
[6]محمد علي الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري، ثقافته و أثرها في أدبه، م.و.ك، الجزائر ، 1986، ص82.

كما قرأ الأمير عبد القادر رسالة العلامة أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني(310-386هـ) و هي جملة مختصرة من واجب أمور الديانة و جمل من أمهات مسائل الفقه و فنونه على مذهب الإمام مالك و طريقته.[1]

ومن الكتب الرائدة في موضوعاتها "الفتوحات المكية" و "فصوص الحكم" و "ديوان ترجمان الأشواق" لمحي الدين بن عربي[2] فهي جميعا تؤسس مذهبا في الفلسفة متكاملا يستوي في ذلك العلوم اللغوية و الأدبية و الشرعية و الإنسانية و الدراسات العلمية بالمعنى الحديث كالرياضيات و الطبيعيات، أما كتاب " الحكمة الخالدة " و "تهذيب الأخلاق و تطهير الأعراق " لابن مسكويه، فإن أولهما يتجه اتجاه الغزالي العملي و لكن في مجال التربية خاصة و يغوص إلى بيان الحكمة العملية و حكمة الحياة بينما يظهر أثر الثاني أكثر في موضوعات متعددة في كتاب الأمير "ذكرى العاقل و تنبيه الغافل".[3]

### 3. التصوف وتبلور اتجاه الأمير الفكري

بدأ تعلق الأمير بالتصوف منذ نشأته حيث تربى تربية صوفية في أحضان أسرته وزاوية أبيه، إن البناء الصوفي للأمير كان أساسه تراثه الموروث والأدب والعلم مما أنتج لديه فيلسوفا حكيما ومفكرا رصينا تمتع بصفاء الرؤية وبمعرفة قل ما يتمتع بها غيره. إن التصوف عند الأمير هو جهاد النفس في سبيل الله أي لأجل معرفة الله –سبحانه و تعالى- وإدخال النفس تحت الأوامر الإلهية والإطمئنان والإذعان لأحكام الربوبية لا شيء آخر من غير سبيل الله[4]،و الصوفية في نظره هم هؤلاء الذين عليهم أن يكونوا في جميع أحوالهم و تصرفاتهم حاضرين مع الله تعالى.[5]

لهذا فقد امتثل الأمير – العالم الزاهد- لتعاليم الإسلام عقيدة و عملا فحاول أن يؤسس منهجا خاصا في فلسفة التوحيد والنظر إلى الآخر في إطار مرجعية دينية صوفية، فمبدأ التوحيد ينظر إليه الأمير نظرة عقدية اجتماعية، فتوحيد الله -عز و جل- في أسمائه يقود مباشرة إلى المساواة بين بني البشر، فالاختلاف إذن قدر إلهي لا يمكن رفعه أو دفعه لكن يمكن تفهمه و فهم منشئه و إعطائه الشرعية الوجودية[6] .

---

[1]أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، رسالة ابن أبي زيد القيرواني (مالك الصغير )، و معها " إيضاح المعاني على رسالة القيرواني "، كتبها أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي، دار الفضيلة للنشر و التوزيع ، القاهرة، ص4.

[2]ولد في مدينة "مرسية" الأندلسية عام (560ه-1165م) و انتقل إلى مدينة إشبيلية و تضلع في مختلف فروع العلم و المعرفة انتقل إلى بجاية و درس على أبي مدين الإشبيلي الذي عاد من المشرق بتصوف عبد القادر الجيلاني ومن بجاية انتقل إلى مصر و الحجاز و العراق ثم رجع إلى الشام و استقر بها إلى أن توفي (638ه-1240م)
للمزيد ينظر : أبو بكر محي الدين بن عربي ، الفتوحات المكية ، ضبطه و صححه أحمد شمس الدين، منشورات دار الكتب العلمية، لبنان، ج1، ص3-6.

[3]محمد علي الوزير، المرجع السابق، ص79.

[4]الأمير عبد القادر الجزائري، كتاب المواقف في التصوف و الوعظ و الإرشاد، دار اليقظة العربية، 1966، ج1، الموقف(71)، ص141.

[5]المصدر نفسه، ج1، الموقف(12)،ص46.

[6]إبراهيم بن عمار ، ثقافة الإختلاف عند الأمير عبد القادر، تمركز حول الذات أم انفتاح و قبول الآخر، ضمن كتاب: الأمير عبد القادر، المثقف، الأديب، المتصوف، ص82.

وبالتالي فالتصور الذي تبناه الأمير الصوفي هو دحض قوي لجملة الأحكام التي أصدرها المستشرقون عن الإسلام باعتباره دين منغلق رافض للآخر وغير قادر على التعايش معه.[1] فتصوف الأمير لا يرفض العالم إنما يبغي حياة صامتة ضمنه قادرة على وقاية نوع من التخفي الروحي في الوقت ذاته الذي يقوم بدور فعال و كأنه غائب عنه، يقول برونو إتيان :" إذ أنه في اللحظة التي يبدو فيها أكثر ما يكون جليا هو أكثر خفاءا".[2]

كان الأمير متصوفا إسلاميا متحررا من قيود التقليد المميت ومن عالم المادة الضيق متطلعا إلى عالم الروح الأسمى وإلى صفاء الشريعة الإسلامية وجوهرها، فقد مارس التصوف نظريا وعمليا وآمن به طريقا لتجديد فهم الدين.[3]

لقد تعمقت نزعة التصوف في نفس الأمير و قادته إلى الاستغراق في التأمل و نظرته إلى الوجود و تقييمه للعلاقات الإنسانية و موقفه من الأديان، و تجلى ذلك فيما ألفه في التصوف و العقيدة و الأخلاق، فكتابه " المقراض الحاد لقطع لسان منتقض دين الإسلام بالباطل و الإلحاد" عبارة عن رسالة مطولة رد بها على الطاعنين في دين الإسلام حيث أوضح ذلك بقوله:" أما بعد فإني في إقامتنا في أمبواز عند الدولة الفرنساوية تكلم أحد رؤساء الدين المسيحي في الإسلام وقال: إن الغدر و عدم الوفاء فيه غير قبيح و لا منهي عنه، فسمعه بعض من له محبة و رغبة في إظهار الحق فجاء إلي و ألح في الطلب على أن أضع في هذا الأمر رسالة".[4]

وقد رتب الأمير رسالته على مقدمة وثلاثة أبواب: أما المقدمة ففي الكلام على العقل وما تعلق به.

**الباب الأول**: في إثبات الألوهية

**الباب الثاني**: في إثبات النبوة مع الرسالة

**الباب الثالث**: وهو موضوع الرسالة ففيه بيان ما ورد في الشرع من وجوب الوفاء والأمر به وترك الغدر والنهي عنه وما يتعلق بذلك كالصدق والكذب وهذه الرسالة حصيلة جهد طويل في الاستقصاء والبحث والتنقيب و التمحيص لكل ما روي و نشر عن الديانات و الرسل و الأنبياء و الكتب السماوية[5].

أما رسالة" **ذكرى العاقل وتنبيه الغافل**"[6] فقد تضمنت مسائل جمة في مختلف العلوم كالتاريخ والفلسفة والدين و الإصلاح الاجتماعي والأخلاق و هي رسالة في الحكمة و الشريعة و توافقهما و محاولة إيجاد صلة بينهما وائتلافهما نصا و روحا.

---

[1] المقال نفسه، ص82.
[2] برونو إتيان، عبد القادر الجزائري،(ط.2)، ترجمة ميشيل خوري، المؤسسة الوطنية (ANEP)، الجزائر، 2001، ص406.
[3] فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري، متصوفا و شاعرا، (د.ط)، م.و.ك، الجزائر، 1985، ص10.
[4] المرجع نفسه، ص97.
[5] فؤاد صالح السيد، المرجع السابق، ص96.
[6] بحث فلسفي كتبه الأمير ببروسة بين عامي(1852-1855)

وتقع هذه الرسالة في مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة:

أما المقدمة فحث فيها على النظر و ذمّ التقليد.

وتحدث في الباب الأول عن فضل العلم و العلماء

و في الباب الثاني: قضايا تتعلق بالدين و الأخلاق

و الباب الثالث تحدث فيه المؤلف عن فن الكتابة و العلوم العامة

و ذكر في خاتمة الرسالة انقسام الناس بحسب العلوم و المعارف و اختلاف المذاهب[1]

و بالنسبة لكتاب "المواقف في التصوف و الوعظ و الإرشاد "فقد عالج فيه الأمير موضوع التصوف و الفكرة الصوفية و يقع في مقدمة و ثلاثة أجزاء و اشتمل على (375) موقفا، كل موقف ضمنه تعليقات و شروح و تفسيرات لأحاديث نبوية و آيات كريمة و توضيحات لنصوص الحكم لابن عربي، و قد جمع الأمير في "المواقف" فلسفته كلها و حواراته جميعها و مواقفه من آراء العلماء المسلمين حول الله و الإنسان، فمن المعروف أن قضية الألوهية حظيت بجهود فكرية كبيرة من قبل الفلاسفة و علماء الكلام، و من يقرأ" المواقف" قراءة متأنية يجد أن الأمير قد آثر أن يناقش قضية صفات الله عز و جل دون الخوض في الذات الإلهية.[2]

### 4. القضايا الفكرية التي أثارها الأمير

طرق الأمير محاور الصراع بين الشرق و الغرب و يبدو أنه افتتح عصر المناظرات حول قضايا فكرية و دينية قبل أن تنشب بسنوات بين " الأفغاني" و " رينان"، و بين" محمد عبده" و " غوستاف لوبون"، و تعتمد طريقة مناظرته على الإفاضة الدقيقة المنظمة للأدلة و الشواهد و الإحاطة بالعديد من المراجع الشرعية و الأدبية و التاريخية و الكتب المقدسة التي تعد معرفة ما فيها شرطا أساسا لمثل هذه المناسبات، كما تعتمد على مشاهداته و خبراته و مقارناته بين المجتمع الغربي و المجتمع الشرقي و إقراره بالفروق التي تعيب الشرقيين و التماس ميزة ما في هذا المجتمع على ذلك المتقدم.[3]

إنطلق الأمير في محاورة الآخر من نزعة إنسانية من خلال نظرته إلى الإنسان المرتبطة هي الأخرى بالإيمان بالله عز و جل و برسالاته و جوهر هذا الإرتباط هو التكريم (و لقد كرمنا بني آدم)، و من هذه الحقوق حق الحياة و حماية الكرامة الإنسانية و حرية

---

[1] الأمير عبد القادر، ذكرى العاقل و تنبيه الغافل، تحقيق و تقديم ممدوح حقي، منشورات دار اليقظة العربية، بيروت، 1966م، ص28-32.
[2] جواد المرابط، المرجع السابق، ص19.
[3] السيد علي الوزير، المرجع السابق، ص54.

الإعتقاد و العلم و العمل و العدل والمساواة .[1] فالقضايا التي شغلت بال المفكرين خلال القرنين (18و19م) أخلاقية وإنسانية لتحرير العبيد و الشعوب المستبدة.[2]

يقول الأمير في كتاب المواقف:" فالإنسان روح العلم و إذا نظرت في العالم وحده دون الإنسان و جدته كالجسم السوي بغير روح فبالإنسان الكامل ظهر كمال الصورة الإلهية "[3]، فالإنسان هو الخليفة في العالم و منه جاءت صورته أكمل صورة و أفضلها، و هو ما حصل له من الشرف على جميع المخلوقات بحسن شكله و صورته و إنما كان له ذلك بإنسانيته و هي قلبه فهي الإنسان الحقيقي.[4]

فالنزعة الإنسانية عند الأمير تمثل اتجاها بارزا في مذهبه و من خلال هذه النزعة كان للإنسان كماله الوجودي الذي فاق كل أجناس الموجودات و تجلت هذه النزعة فيما قاله الأمير بالرحمة الإلهية الواسعة التي تشمل جميع الخلق و هذه الرحمة تكشف عن نزعة التسامح التي ميزت فلسفة الأمير الروحية .

-**الأخلاق**: بين الأمير أن الأخلاق الفاضلة من الصدق و الوفاء و العهد توافق استحسان الطبع لها كما توافق استقباح الطبع لأضداد لها من الكذب و الخيانة و نحوها و أن المسلمين الأوائل جرى الصدق فيهم مجرى الطبيعة و الفطرة، و في حث الإسلام على الأخلاق الفاضلة و تحذيره من الأخلاق الذميمة بخلاف دعوى الخصوم حيث ساق الأمير الكثير من النصوص الشرعية الدالة على ذلك و المبطلة لمزاعم هؤلاء كمدح الصدق و ذم الكذب، و أن الصدق في نظر المسلمين هو أصل الأخلاق و أساسها، فترى العرب في الجاهلية و الإسلام أكثر مدحهم بالصدق و الوفاء و أشد ذمهم بالغدر و الكذب.[5]

كما حث الإسلام على الوفاء بالعهد و الإلتزام بشروطه مواجها أباطيل و إشاعات الفرنسيين حول أخلاق المسلمين و اتهامهم بالتوحش و الغلظة و ما إلى ذلك من الكذب و الخيانة و نقض العهود .

ويحاول الأمير أن يعطي بنفسه و أخلاقه نموذجا لأخلاق الإسلام و تعاليمه و طهارة أحكامه فالتزم بمحاسن الأخلاق و أشرفها حربا و سلما فالمحافظة على العهد و إكرام الأسرى ما أقنع الفرنسيون أنهم أمام نموذج إنساني راق و رفيع الدرجة و حسن التذوق و

---

[1] عدنان المبارك، " حوار الأمير مع العلماء " ضمن أعمال الملتقى الدولي حول "الأمير عبد القادر و القيم الإنسانية " عدد خاص، 2001، ص37-38.

[2] عميراوي أحميدة،" قيم الأمير عبد القادر و التيارات الإنسانية "، ضمن أعمال الملتقى الدولي حول " الأمير عبد القادر و القيم الإنسانية "، عدد خاص، 2001، ص142.

[3] أحمد محمود الجزار، الله و الإنسان عند الأمير عبد القادر الجزائري، (ط.1)، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، 2015، ص88

[4] المرجع نفسه، ص136.

[5] الأمير عبد القادر، المقراض الحاد لقطع لسان منتقض دين الإسلام بالباطل و الإلحاد، ص243.

الأخلاق.[1] وقد حاجج الفرنسيون وأمثالهم بالطابع الإنساني المشترك لا النص الشرعي لأنهم لا يؤمنون به هذا الطابع الذي لا يمكنهم إنكاره

وإلى جانب الآية والحديث لم يغفل الأمير الاستشهاد بكلام العرب عل حسن الأخلاق كقولهم: أربعة من علامات اللؤم: استعمال الغدر وإفشاء السر وإساءة الجوار وتجنب الأخيار، كما قال بعضهم من النفاق غش الصديق ونقض العهود والمواثيق.

ولهذا خصص الأمير حديثا كثيرا عن شيم الوفاء بالعهد و صدق الوعد و أخلاقيات الحرب و حسن معاملة الأسرى و كلمة الشرف في الباب الثالث من كتابه "المقراض الحاد".

وقد خاطب الأمير الفرنسيين و ناشدهم الوفاء بعهودهم في قوله : " حتى و إن أتيتم بكل كنوز الدنيا و وضعتموها تحت قدماي ثم أعطيتموني حرية الاختيار بينها و بين إطلاق سراحي لاخترت حريتي، لست أطالبكم بخدمة و لا بفضل، أنا فقط أطالبكم بالتزاماتكم التي كانت أساس الاتفاق الذي عقدته معكم"[2]

و قد وصف شارل إينارد- مذهبه بروتيستانتي- و قد زار الأمير في 5 ماي 1848 : " ذهبنا لرؤيته فرأينا كل ذلك التواضع و تلك البساطة و الرقة و الطيبة و القوة، كلماته التي تفيض إيمانا و يقينا أشرف من كلمات معظم الذين لقبوا بأسماء المسيحية".[3]

أما إيبوليت لانغلوا – الذي كان أسيرا عند الأمير- و قد لقيه و هو في طريقه إلى المشرق فتكلم عن هذا اللقاء في كتابه" مذكرات أسير عند الأمير عبد القادر" فقال " إني رأيت الرجل نفسه بوجه الرصين و بنظرته الملهمة و كلامه القليل عليه مسحة الأنبياء فكأنه يعيش في عالم علوي مترفعا عن كل معتاد و مبتذل"[4].

**-حوار الأديان:**

ينطلق الأمير في نظرته إلى الديانات الثلاث (الإسلام، المسيحية و اليهودية) من نظرته إلى الإنسان حيث كونه تجليا من تجليات أسماء الله عز و جل و بالتالي لا يوجد تمييز على أساس الاختلاف الديني، فتعدد الديانات من تعدد الأسماء الإلهية[5]، و الحوار بين الأديان الذي نادى به الأمير منبثق من القرآن الكريم ذاته، الذي أكد في نصوصه على التنوع كمصدر للتعارف المتبادل و التعايش، و قد أثنى الأمير على هذا عندما ذكر في كتابه المواقف(الموقف364) بأن "الألوهية لذاتها تقتضي اختلاف الأحوال و عدم بقاءها على وتيرة واحدة[6]"

---

[1]فاطمة درعي، "النزعة الإنسانية عند الأمير عبد القادر"، الحوار المتوسطي، المجلد 12، ع2، ماي 2021، ص138-139.
[2]مصطفى خياطي، الأمير سجين فرنسا، ص107.
[3]المرجع نفسه، ص153.
[4]محمود بوعياد، "عبد القادر الإنسان"، الثقافة، عدد خاص(75)، 1983م، ص243.
[5]عبد الوهاب الغراس، " الأمير عبد القادر محطات متميزة في رؤية الآخر"، إنسانيات، عدد(77_78)،2017، مج21، ص14.
[6]إدريس الجزائري، "الأمير عبد القادر و حقوق الإنسان بين مفهوم الأمس و مفهوم اليوم"، الفكر البرلماني، العدد20، 2008، ص31.

إذن فالأديان والمعتقدات قدمت تصورات بشرية عن الله عزو جل او ما يسميه بإله المعتقدات: "و إله المعتقدات صورة أو تصور أو فكرة الله التي يخلقها عقل العبد أو تقليده فيسعها قلبه، إنها صورة صفاتية يسعها كل انسان على قدر طاقته و علمه[1]"، و خصوصية الامة تكمن فقط في طبيعة و نوعية التجلي الإلهي الذي انفردت به.

فالأمم عرفت الله عزو جل محصورا إما في المسيح أو في عزير أو الأحبار عند اليهود، أو متجليا في النار –كما هو الحال عند المجوس- فالله تعالى واحدا وواسعا في تجليه منذ الازل الى الأبد، واحدا من ناحية ذاته المقدسة ، متعدد و متنوع في ظهور صفاته و تجلياته، فالإله واحد عند جميع الأديان و لكن المشكلة و الخطأ و قع في التعيين و في المعرفة فالإسلام يعترف بالديانتين و انما الاختلاف بين المسلمين و المسيحيين و اليهود في الشرائع "فأساس الديانة و أصولها لا خلاف فيها بين الأنبياء من آدم إلى محمد، ذلك أنهم كلهم يدعون الخلق إلى توحيد الله و إلى حفظ النفس والعقل و المال"[2] ، هذه الكليات __يقول الأمير__ لا خلاف فيها، أما الخلاف بين الأنبياء فيكمن في كيفية حفظها و وضع القوانين لدوام بقائها محفوظة[3].

والخلاصة أن الديانات الثلاث تنبع من معين واحد وأن رسالة الأنبياء والرسل لم تكن تهدف إلى تقويض المعرفة العلمية والفلسفية بل جاءت في مجملها لتكريس حرية الانسان المتمثلة في التسامح والحب والتعاون بين الشعوب[4]. وتبدو نزعة الأمير الإنسانية في تأكيده على وحدة الأديان السماوية من خلال شعره:

فطورا تراني مسلما أي مسلم  زهودا نسوكا خاضعا طالبا مدا

وطورا تراني للكنائس مسرعا  وفي وسطي الزنار أحكمته شدا

وطورا بمدارس اليهود مدرسا  أقرر توراة وأبدي لهم رشدا[5]

**الخاتمة**

نخلص من خلال بحثنا هذا الى النتائج التالية:

1- أن التربية الدينية الصوفية عند الأمير جعلت منه إنسانا عالما متحررا من قيود التقليد والتعصب، يدعو إلى تجديد الفهم في الدين القائم على أصوله وقواعده لا ظواهره وقشوره.

---

[1]فرعون حمو، فلسفة الاختلاف عند الأمير (دراسة أنثروبولوجيا)، ماجيستير جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان، 2010، ص125.
[2]بن داود إبراهيم، "الأمير عبد القادر رائد القانون الدولي الإنساني والحوار الديني"، مجلة الفكر البرلماني، العدد20، 2008، ص38.
[3]المقال نفسه، ص38.
[4]عبد القادر شرشار، "شخصية الأمير عبد القادر من منظور الآخر"، ترجمة كتاب عبد القادر لغوستاف دوقا -أنموذجا-"، إنسانيات، ع 19-20، ص22.
[5]فؤاد صالح السيد، المرجع السابق، ص118.

2- اشتهر الأمير بأخلاقه الرفيعة ومواقفه الإنسانية التي أكد من خلالها على بعد نظره وثاقب بصيرته وسعة أفقه ورحابة صدره، فهو على درجة عالية من الفكر والتربية والثقافة والمعرفة الواسعة والتضلع في فروع العلم والفكر ما جعله يغوص في أسرار الكون ويسمو إلى مستوى إنساني كبير.

3- عندما طرق الأمير حوار الحضارات والأديان ومعالجة مشكلة الأخلاق بيننا وبين الغرب أراد بها الخروج من مشكلة تمايز الأعراق، فالهوية ليست هوية عرق أو معتقد أو جنس أو علامات فارقة إنها هوية متعالية وعابرة للإيديولوجيات والمذاهب والأديان، فرفض الأمير كل الهويات التي تبعده عن الله عز وجل وهوية الله عنده تتغلب فيها صفات الجمال على صفات الجلال لهذا جاءت هويته كلها رحمة وجمال ومحبة لبني البشر ويتمثل الاختلاف فيها نسيج الوجود كله، فجاءت نظرة الأمير الى الآخر المختلف أكثر رحابة وأصالة:

ففي أنا كل ما يؤمله الورى  فمن شاء قرآنا ومن شاء فرقانا

ومن شاء توراة ومن شاء إنجيلا  ومن شاء مزمارا زبورا وتبيانا

## قائمة المصادر و المراجع

### المصادر


1. أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، رسالة ابن زيد القيرواني (مالك الصغير )، و معها " إيضاح المعاني على رسالة القيرواني "، كتبها أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي، دار الفضيلة للنشر و التوزيع ، القاهرة.
2. محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبدا لقادر و أخيار الجزائر،2ج، المطبعة التجارية، الإسكندرية، 1903.
3. بطرس البستاني، الأمير عبد القادر الجزائري، دائرة المعارف، 1ج 11.
4. أبو القاسم الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف،(ط.2)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982م.
5. L.veuillot les français en Algerie, souvenir d'un voyage fait en 1841, 2émeedition, 1847
6. خير الدين الزركلي، الأعلام، (ط.15)، دار العلم للملايين، بيروت، 2002.
7. أبو بكر محي الدين بن عربي ، الفتوحات المكية ، ضبطه و صححه أحمد شمس الدين، منشورات دار الكتب العلمية، لبنان.
8. الأمير عبد القادر الجزائري، كتاب المواقف في التصوف و الوعظ و الإرشاد، دار اليقظة العربية، 1966، مج1.
9. الأمير عبد القادر، المقراض الحاد لقطع لسان منتقض دين الإسلام بالباطل والإلحاد.
10. برونو إتيان، عبد القادر الجزائري،(ط.2)، ترجمة ميشيل خوري، المؤسسة الوطنية (ANEP)، الجزائر، 2001.
11. الأمير عبد القادر، ذكرى العاقل و تنبيه الغافل، تحقيق و تقديم ممدوح حقي، منشورات دار اليقظة العربية، بيروت، 1966م.


### المراجع


1. أحمد محمود الجزار، الله و الإنسان عند الأمير عبد القادر الجزائري، (ط.1)، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، 2015.
2. فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري، متصوفا و شاعرا، (د.ط)، م.و.ك، الجزائر، 1985.
3. محمد علي الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري، ثقافته و أثرها في أدبه، م.و.ك، الجزائر ، 1986.
4. مصطفى خياطي: الأمير عبد القادر سجين فرنسا، منشورات (ANEP).
5. أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1975.

6. ناصر الدين سعيد وني، عالم القرن التاسع عشر، عصر الأمير عبد القادر، (ط.2)، البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر.
7. فرعون حمو، فلسفة الاختلاف عند الأمير (دراسة أنثروبولوجيا)، ماجيستير جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان، 2010.

**المقالات**

1. بن داود إبراهيم، "الأمير عبد القادر رائد القانون الدولي الإنساني والحوار الديني"، مجلة الفكر البرلماني، العدد20، 2008.
2. عبد القادر شرشار، "شخصية الأمير عبد القادر من منظور الآخر"، ترجمة كتاب عبد القادر لغوستاف دوقا - أنموذجا-"، إنسانيات، ع 19-20.
3. إدريس الجزائري، "الأمير عبد القادر و حقوق الإنسان بين مفهوم الأمس و مفهوم اليوم"، الفكر البرلماني، العدد20، 2008.
4. فاطمة درعي، "النزعة الإنسانية عند الأمير عبد القادر"، الحوار المتوسطي، المجلد 12، ع2، ماي 2021.
5. محمود بوعياد، "عبد القادر الإنسان"، الثقافة، عدد خاص(75)، 1983م.
6. محمد الطاهر عزوي، "الحياة الروحية للأمير عبد القادر"، مسالك، ع3، 1998م.
7. عبد الوهاب الغراس، " الأمير عبد القادر محطات متميزة في رؤية الآخر"، إنسانيات، عدد(77_78)،2017، مج21.
8. عدنان المبارك، " حوار الأمير مع العلماء " ضمن أعمال الملتقى الدولي حول "الأمير عبدالقادر و القيم الإنسانية " عدد خاص، 2001.
9. عميراوي أحميدة،" قيم الأمير عبد القادر و التيارات الإنسانية "، ضمن أعمال الملتقى الدولي حول " الأمير عبد القادر و القيم الإنسانية "، عدد خاص، 2001.
10. شعبان عبد العزيز خليفة، "الأمير عبد القادر و حواره مع علماء المسلمين" ضمن أعمال الملتقى الدولي حول "الأمير عبدالقادر و القيم الإنسانية " عدد خاص، 2001.
11. يحيى بو عزيز، "الطريقة القادرية و الأمير عبد القادر " ضمن أعمال الملتقى الدولي حول "الأمير عبدالقادر و القيم الإنسانية " عدد خاص، 2001.

12. تركي رابح عمامرة، "الأمير عبد القادر الجزائري، البيئة الثقافية و التربوية التي نشأ فيها و أثرها في تكوين شخصيته "، مجلة عالم الفكر، مج16، ع1.
13. إبراهيم بن عمار ، ثقافة الاختلاف عند الأمير عبد القادر، تمركز حول الذات أم انفتاح و قبول الآخر، ضمن كتاب: الأمير عبد القادر، المثقف، الأديب، المتصوف.